



## بيت يهم بالسجود للدكتور احمد زكي

اسكتلانده ، وتعلم في جامعتها ، ثم انتقل الى جامعة لندن ودرس فيها ، ثم سامت صحته فطلب العافية ، فترح مع أبيه الى كندا عام ١٨٧٠ . ثم انتقل بعد ذلك الى « بسن » بالولايات المتحدة ولم يكن اختراعه التلغون اتفاقية من اتفاقات الحظ المحدود ورمية من غير رام ، وانما كان تاج دراسة طويلة منظمة وبحث دقيق وصبر شديد . كان أبوه عالماً في السمعيّات ، فاشترك الاثنان في دراسة الطريقة التي بها ينتج الكلام من فم الانسان ، وفي اللغات الموسيقية للاجبال الصوتية التي يخلقه ، وفي مخارج الحروف والاصوات في مختلف اللغات ، وفج الابن مدرسة لتخريج معلمين يعلمون الصمّ الكلام ، وكان دَرَس الكهرياء ، واتصل بالفزيائي العالم « هلمهولتز » Helmholtz فكان من الطبيعي أن يربط بين الكهرياء والصوت ، فكان أن طلب مع فزيائتي عصره تسخير الكهرياء في حمل الصوت فسبقهم سبةً قريباً ، وحمل اختراعه الى دار التسجيل ، وحمل الاستاذ « اليشاجراي » Elisha Gray اختراعاً مثله الى دار التسجيل ولكن « بل » سبق « جراي » بوضع ساعات ، فكان له السبق ، وكان له وحده من بعد ذلك تمجيد القرون والآن مضت سنوات كثيرة على ذلك ، وتبع المخترع الاول مخترعون عديليون ، قام كل بنصيبه في تسمية التلغون وتمديدته ، وأولدوا منه التلغون اللاسلكي ، واستعان المولود والوالد على ربط الارض الدوّارة ، مشارقها بمغاربها ، وبأبسها بامتائها ، ولها بأحزانها ، فأعذب ما بذلك من قيود الانسان قيد الزمان وقيد المكان . فانت تستطيع الآن وأنت في بيتك أن تتصل في ساعة بنحو أربعين مليون مشترك مفرّقين في نواحي الارض المترامية . وقد يقال إن في هذا الكفاية ، ولكن

تداعى البيوت الكثيرة في كل زمان وفي كل مكان ، فلا يسمع بها الا الجيران ، وان تضمن سقوطها قتل الانفس والتمثيل بالابدان ، قد يخرج خبرها عن دائرة الجيرة الى دائرة المدينة وقلبا يتعدى حدود القطر والامة . ولكن بيتا في مدينة « برانتفورد » بكندا هم بالسجود أو كاد ، أو خيل أنه نوى الصلاة أو اوشك ان ينويها ، فاهتزت أسلاك العالم تُبرق بالنبا الى أدانيه وأقاصيه ، وحظ البيوت كحظ الرجال ، رجل يمرض فيموت فلا يجد من يلف عليه كفنا ، أو يستر له في التراب شلوا ، ورجل يمرض فيتأوه خفيفا ، فتتردد آهنة عالية في كل بوق من أبواق الاذاعة ، ويتأوه معه العالمون .

على انه لا بدع ان تعطف الاسلاك البرقية على هذا البيت ، وان تضطرب باضطرابه ، فهو بيت أسرتها العتيق ، مسقط رأسها ومهد طفولتها ، وفيه وفي المدينة التي حوله كان لعبها ولطو صباها . ذلك البيت هو بيت « جراهام بل » Bell الذي فيه وُلد أول تلغون عرفه الناس ، وفيه امتد أول سلك بأول صوت لانسان .

شكا هذا البيت العتيق الارض التي حملته نصف قرن ، لا عز ، نكران ولا جحود ، ولكنه إلف هذا الهواء . فلم يكذبك بالشكاة حتى أشكاه أهله ، فامتدت اليه أيدي حريصة تنقله حجر احجرا برسمه ووضعته الى أرض أشد ، ومنزّل آمن ولد اسكندر جراهام بل عام ١٨٤٧ في أدنبره عاصمة

الانسان أتمال لايفتا يطلب المزيد . مثال ذلك أنه تضجّر من  
عاملات التلفون ومن أعنائهن ، فذهبن ، وأصبح التلفون في  
كثير من البلاد يعمل من نفسه بدون عاملة ، ولا تمضي

سنوات حتى يعم هذا  
النظام الجديد العالم  
كله . وشكا طالب  
الترنك الزمن الذي  
يقضيه في الانتظار  
ليتصل بالمانيا أو  
امريكا ، فأصنى العلم  
اليه ، وعن قريب  
ستتمكن من مخاطبة  
تلك البلاد والاتصال  
بها بعد برهات قصيرة  
من اعترامك ذلك  
وشكا رؤساء  
الاعمال العالمية  
الواسعة أنهم كثيرا  
ما يريدون استشارة



مروسيهم أو وكلائهم أو شركائهم في البلاد المختلفة  
فيضطرون الى مكالمه واحد ثم ثان ثم ثالث ، وذلك في الامر  
الواحد ، ثم يجدون بعد ذلك أنهم محتاجون الى مراجعتهم ،  
وسألوا ألا من سبل الى اجتماعهم جميعا في مؤتمر واحد على  
التلفون ، فقال العلم نعم ، وفعلا جرت دعوة أمثال هذه  
المؤتمرات في إنجلترا ، وتحدث المؤتمرون كما لو اجتمعوا في  
حجرة راحدة على مائدة واحدة . وساعد على هذا النجاح  
بالطبع أن هؤلاء القوم اذا تآقشوا تكلم منهم واحد فقط  
واستمع الباقون

وهناك مطالب أخرى ، وتكهّنات أخرى ، وآمال واسعة

ترمي كلها الى تمكين الانسان وترفيهه . فمن المحتمل القريب  
الآن ان يتخاطب اثنان فيمتعان السمع والبصر ، أما السمع  
فسمع الكلام ، وأما البصر فبصر حيا من تستمع له تلقى  
صورته على لوحة

أمامك . على ان هذا  
ان أمتع أناساً  
فسيرجع لا شك  
أناساً آخرين .  
فليست كل الوجوه  
يُستحب مرآها .  
وغير هذا فانت  
اليوم تخاطب من  
تشاء وانت على أى  
حال تشاء من لباس  
أو هيئة ، أما غدا  
ومحدثك يراك  
فلا بد من استواء  
الهندام والهيئة  
المحترمة ، وغدا

ستضطر اذا أردت تبليغ أسفك لشئ أو حزنك على حادثة  
أن تكلف الاسف والحزن لا في صوتك فحسب ، بل كذلك  
في وجهك ، وهذا لا شك يزيد في عنت الحياة

على ان العلم حسب حساب كل هذا ، وعرف ضعف  
النفوس الانسانية كما عرف قوتها ، وعرف كذلك ان  
تقوم الموج وتكسير الصحيح لا يقع في اختصاصه ،  
لذلك ستجد في الجهاز الجديد زرا صغيرا ، تديره شمالا  
فتحتجب ، وتديره يمينا فتسفر ، فدونك ماشيت من سفور  
أو حجاب .

احمد زكي